الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ: ٧ مايو ١٩٩٢

العمالة المهاجرة والنازية الجديدة فى أوروبا

على الرغم من ان الهجمة العنصرية التى تجتاح اوروبا تطال الملايين من الذين هاجروا اليها فيما مضى هربا من تردى الاوضاع الاقتصادية والقهر السياسى فى بلدانهم، وطمعا فى مراوغة الحلم الاوروبى، الا انه من الملاحظ ان العمالة العربية قد استاثرت بقسط وافر من هذه الهجمة الشرسة وخاصة فى فرنسا وايطاليا والمانيا. ومرد ذلك يرجع الى كثافة الوجود العربى فى هذه الدول. حيث يبلغ حجم العرب مع الافارقة الموجودين فى فرنسا - على سبيل المثال - حوالى ثلاثة ملايين ونصف المليون، وثمة من يؤكد انهم اربعة ملايين، وهو ما جعلهم هدفا للتنظيمات الفاشية والعنصرية التى ترتكز برامجها الانتخابية على محور اساسى هو طرد العرب والسود - اى الافارقة - باعتبار ان ٩٠٪ من المهاجرين العرب هم الفارقة.

ان تصاعد هذه النزعة العنصرية يخل بتوازن الحوار بين الشمال والجنوب، والذى يمثل المهاجرون احد محاور ارتكازه باعتبارهم واسطة لنقل التكنولوجيا اضافة الى ما تمثله سوق العمل الاوروبية من فرص لتخفيف العبء على الاقتصادات الفقيرة لجنوب المتوسط. وفى الواقع فان قضية المهاجرين قد ظلت دوما وعلى مدار القرن الحالى تعبيرا عن طبيعة العلاقات التى تحكم شطرى المتوسط ومرآة لتطور المجتمع الاوروبى وما شهده من تغييرات طوال الحقبة المنصرمة. ففى البداية احتاجت الدول الصناعية لهم كقوى عاملة غير مكلفة ورخيصة الاجور فى بناء المصانع والمزارع. وحفر المناجم وتطوير الاقتصاد وفى وقت لم تكن فيه ثمة قيود على استخدام الايدى العاملة الاجنبية. وبعد الحرب العالمية الثانية احتاجت اوروبا الى العمال غير المهرة للعمل فى بناء ما دمرته الحرب فاستقدمتهم من مختلف دول العالم النامى، وقام العديد من المهاجرين وخاصة العرب المغاربة بالعمل فى المواقع التى يأنف الاوروبيون من العمل فيها كالمناجم ومصانع السيارات ومهن الخدمات العامة، ومع نهاية الستينات كانت معدلات النمو الاقتصادى تتناقص بشكل ملحوظ مما جعل مبدأ الاستغناء عن جزء من العمالة الاجنبية مطلبا عاما واخذت القوى السياسية تحمل الاجانب مسئولية تصاعد معدلات البطالة الامر الذى اوجد مناخا للتوتر، وقد تمثل ذلك فى تزايد الانتهاكات التى

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

باهر شوقى

تعرض لها المهاجرون على يد الاوروبيين، حيث اصبحت الاشتباكات العنيفة والمسلحة بينهم سمة يومية فى العديد من العواصم الاوروبية. وفى الواقع فان هناك العديد من الظواهر التى تعبر صراحة عن حجم الازمة التى يعايشها المهاجرون. او «وجع الضواحى» كما اسمته حكومة اديث كريسون!

اولا: تصاعد نفوذ المنظمات العنصرية المتطرفة:

فقد شهدت اوروبا بزوغ العديد من المنظمات النازية والعنصرية على مدار العقدين المنصرمين.. لعل من ابرزها حزب الجبهة الوطنية الفرنسية بزعامة «جان ماري لوبين» والذى يعد الامتداد الحقيقى الراهن لتاريخ العنصرية والعداء للاجانب وتحميلهم مسئولية الازمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى عانت منها فرنسا. وتاتى اهمية حزب الجبهة الوطنية من تمتعه بميزتين رئيسيتين:

اولا: ان القاعدة الجماهيرية للحزب تضم من ١٩ - ٢٩٪ من العمال، وهى نسبة تفوق نسبة العمال فى الاحزاب اليمينية التقليدية.

ثانيا: ان نمو ٤١٪ من اعضاء الحزب واتباعه تحت الخامسة والثلاثين من العمر، الامر الذى يعنى ان القوة الضاربة لهذا الحزب تتكون من الشبيبة وهو ما يزيد من تاثير الحزب على السياسة الفرنسية، وقد اتضح ذلك فى اخفاق حكومة جاك شيراك فى مواجهة التيار اليمينى المتطرف واختيارها لاحد اعضاء الجبهة الوطنية «تشارل باسكو» ليشغل منصب وزير الداخلية.. ولم يقتصر الامر على هذا الحد فقد امتدت عدوى التمييز العنصرى الى باقى ارجاء القارة الاوروبية وافرزت العديد من النازية مثل جبهة العمل الوطنى الاجتماعى - الحركة القومية الالمانية «انستا» - المجموعة الرياضية للدفاع عن هوفمان - حركة طرد الاجانب - تنظيم اوميغا الذى يضم بين صفوفه شريحة واسعة من المثقفين، ويتخذ من العاصمة الفرنسية باريس مركزا له ويصدر مجموعة من المطبوعات والنشرات الخاصة تدور فى معظمها حول معاداة الاجانب وخاصة الملونين منهم.

ثالثا: مشكلة الاجانب والمزايدة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بعد ان تضاءلت اهمية التقسيمات الايديولوجية في المجتمع الدولي بين قوى الشمال والجنوب ليحتل مركز الصدارة في سلم الاولويات، نظرا لما له من تاثير على عمليتي التنمية والاستقرار في النظام العالمي، واتساقا مع هذه الرؤية فقد اثارت قضية الهجرة الدولية عبر القارات والمتوسط الكثير من الجدل والخلاف في الوقت ذاته، وتعد من نتائج تفاقم الظاهرة التي تشهدها القارة الاوروبية منذ بداية الستينات، والتي تتمثل في التصاعد المتواري لمعدلات الهجرة لدول الشمال الغنية، وزيادة تاثير التيار الهبطي المتطرف الذي يرفع شعارات - اوروبا للاوروبيين - وهو الامر الذي ادى الى وقوع الصيد من الصدامات بين طرفي معادلة الهجرة، وهي صدامات تم اغفال النظر عنها لامد طويل، ولا تقتصر خطورتها على ما اسفرت عنه من ضحايا، وانما في ازاحتها للستار عن جبل الثلج الذي ما يزال يتفاقم طوال العقدين الاخيرين.

جاك شيراك

السياسية:

لا تقتصر خطورة المنظمات العنصرية على مجرد انتشارها السرطاني في اوصال المجتمع الاوروبي - يوجد في المانيا وحدها نحو ١٥٠ تنظيما نازيا وعنصريا - بل في نجاحها في الظهور على الساحة السياسية وكانها تمتلك الشروط الحقيقية للتغيير، وهو ما ادى الى تزايد قوتها الانتخابية بصورة مذهلة خلال السنوات العشر الماضية. ومن امثلة ذلك نجاح حزب الجبهة الوطنية الفرنسية في الحصول على ١٣٪ من الاصوات الانتخابية في دورة ١٩٨٩، في مقابل ٢,٥٪ في انتخابات ١٩٨٤ كذلك نجاح كتلة «فلاما» البلجيكية المتطرفة في الحصول على اكثر من ١٥٪ من اصوات الانتخابات التي جرت في مدينة انتفسرين ثاني اكبر المدن البلجيكية، ومن الامور التي تزيد من خطورة تاثير هذه المنظمات العنصرية ان عضويتها لا تقتصر على صفوف المتعطلين عن العمل بل تمتد الى قطاعات عريضة في المجتمعات الاوروبية وتتركز في المدن الكبرى وتعد الجبهة الوطنية البريطانية من الدلائل الهامة على ذلك حيث تسيطر الطبقة العاملة على قواعدها الانتخابية وتتمركز قوتها الرئيسية في كل من لندن - ميدلاند الغربية، وهو ما يعني ان ظاهرة العداء للاجانب ونزعة التمييز العنصري قد بدات تتحلل من اسبابها الموضوعية والمتمثلة في انخفاض مستويات المعيشة وتزايد معدلات البطالة وتنمو باتجاه صياغة نفسية عامة طاردة للاجانب، وهو ما يهدد باتساع نطاق الصدامات الحالية الى ما يشبه حربا صليبية لتكريس التفوق والنقاء الاوروبي.

وفي الواقع فان هناك عددا من المؤشرات التي تؤذن بتفاقم هذا الوضع الكارثي اذا لم يتم تداركه. ومن اهمها التغييرات التي انتابت اوروبا الشرقية على مدار الاعوام الماضية، ونتج عنها انهيار الاقتصادات المركزية وتسريح الملايين من العمال الذين يشكلون بوضعيتهم تلك تربة خصبة لانتشار الدعاوى العنصرية، وتاجج العداء للمهاجرين وهو الامر الذي شهدته الدولة الالمانية فعليا منذ اتمام الوحدة في اكتوبر ١٩٨٩.. وخاصة مع الوضع في الاعتبار التزايد المستمر في تيار الهجرة حيث تشير التقديرات الى تدفق نحو ٥٠٠ الف مهاجر هذا العام على منطقة التعاون والتنمية الاوروبية في حين ان المعدل السنوي المعتاد لتدفق المهاجرين لايزيد على ٢٠٠ الف مهاجر، وهو ما يعطي بيانا عمليا على حجم التناقض في اسواق العمل الاوروبية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية